

د. مباركية عيسى

كلية الآداب واللغات

قسم اللغة والأدب العربي

المحاضرة رقم 06

سيمياء الشعر

المقياس: النقد السيميائي

التخصص: نقد ومناهج . ليسانس

المستوى: السداسي الخامس

لقد تعددت الاتجاهات السيميائية ومدارسها في الحقل الفكري الغربي لدراسة جميع أنواع العلامات سواء أكانت هذه العلامات ذات طابع لساني أم غير لساني، وهذا التعدد في الاتجاهات شمل العديد من فروع المعرفة التي جعلت من العلامة نواتها المركزية كالفلسفة والتاريخ والرياضيات وعلم النفس... غير أن السيميائيات ارتبطت في أكثر حالاتها بالأدب بكافة فروعه وتوسعت هذه المحاضرة لإيضاح علاقة سيمياء الشعر باللسانيات، وكذا محاولة الوقوف عند شعرية "جاكسون" وصلتها بنظرية التواصل واللسانيات، كما سنحاول معرفة العلاقة الكامنة بين السيميائية بالأسلوبية لدى "ريفاتير"، والتعرف على نظرية التناص وإنتاجية المعاني لدى جوليا كريستيفا وفكرة الانتقال من السيميائية التواصلية إلى السيميائية التحليلية .

### 1. شعرية "رومان جاكسون" وصلتها بنظرية التواصل واللسانيات:

يعرف "جاكسون" الشعرية بأنها: " ذلك الفرع من اللسانيات الذي يعالج الوظيفة الشعرية في علاقتها مع الوظائف الأخرى للغة، وتهتم الشعرية بالمعنى الواسع للكلمة، بالوظيفة الشعرية لا في الشعر فحسب حيث تهتم هذه الوظيفة على الوظائف الأخرى للغة، وإنما تهتم بها أيضا خارج الشعر حيث تعطي الأولوية لهذه الوظيفة أو تلك على حساب الوظيفة الشعرية"<sup>1</sup>، كما عرفها بأنها: "فرعا من فروع اللسانيات ورأى أنها تهتم بقضية البنية اللسانية تماما مثلما يهتم الرسام بالبنية الرسمية، ولأن اللسانيات هي العلم الشامل للبنى اللسانية، فإنه يمكن عد الشعرية جزءا لا يتجزأ من اللسانيات"<sup>2</sup>.

ويفرق جاكسون بين الشعر والشعرية، فالأولى عنده تشكيل فني للكلمة في سياقها التعبيري، أما الثانية (الشعرية) فهي الدراسة اللسانية للوظيفة الشعرية في سياق رسالة لفظية أو خطاب شعري، فالشعرية إذن تعني الأدبية وموضوعها الأدب، والإبداع الشعري هو نتاج صراع الوظيفة الشعرية والوظائف الأخرى، ومهما تكن هيمنة الوظيفة الشعرية على الوظائف الأخرى فإنه ليس بالإمكان إقصاؤها كلها، فيصير بذلك النص الشعري قائما على العلاقات المتوفرة بين الوظائف المختلفة فيه، وهذا ما يراه جاكسون، إذ "لا يمكن للتحليل اللساني للشعر أن يقتصر على الوظيفة الشعرية فخصوصيات الأجناس المختلفة تستلزم مساهمة الوظائف الأخرى بجانب الوظيفة الشعرية المهيمنة وذلك في نظام هرمي متنوع"<sup>3</sup>، والوظيفة الشعرية هي إحدى الوظائف اللغوية التي تنتجها العناصر التواصلية للخطاطة التالية:

السياق

الوظيفة المرجعية

النداء والأمر

الوظيفة الشعرية

صيغ التعجب وصيغ الانفعال

المرسل إليه

الرسالة

المرسل

الوظيفة الافهامية

الوظيفة الانفعالية

الوظيفة الانتباهية

القناة (اتصال) (ألو: أسمعني)

سنن

وظيفة ما وراء اللغة (ميتالسانية) (وظيفة شرح)

أتفهم ما أعني؟

أتفهم ما أريد؟

## مخطط عناصر التواصل اللغوي والوظائف الناجمة عنه عند رومان جاكسون

إذ يقوم كل عامل من العوامل المكونة للحدث اللساني بوظيفة لسانية، وتتركز الرسالة على الوظيفة الشعرية التي تتوافر بدورها في كل رسالة لفظية على تفاوتها، لكنها ترتبط بسيميائية النص الأدبي حين تصبح الوظيفة الأكثر هيمنة في الشعر.

## 2- ميكائيل ريفاتير وسيموطيقا الشعر:

جمع الناقد "ريفاتير" بين السيميائية وتوجهه الأسلوبي في كتابة "سيموطيقا الشعر"، إذ يولي عناية خاصة بوظيفة القراءة السيميائية وبالخصوص في النص الشعري، ويرى أن العملية السيميائية تتحقق في ذهن القارئ، وبالتالي فإن فهم سيميائية الشعر تتمثل في مستويين: "الأولى تسمى القراءة الاستكشافية" أو "الاسترشادية" وهي المرحلة الأولى من فك الشفرات من النص الشعري... في هذه القراءة يعتبر القارئ بالنظر إلى مقدرته اللغوية، كل لفظة بمثابة دلالة مرتبطة بمعناها في العالم الواقعي، وبالتالي يصل إلى فهم إدراك معنى القصيدة واستيعابها بالشكل المطلوب، والمرحلة الثانية هي القراءة العميقة التأويلية وتسمى القراءة الاسترجاعية أو القراءة الراجعة من خلال قراءة الفرضية التي تشكلت في القراءة الاستكشافية. يتجاوز القارئ مستوى المعنى ويبحث عن المدلولية في

القصيدة، ويشكل أخيراً الشبكة الدلالية في النص الشعري، وهي قضية أساسية تحكم على توفر الوحدة العضوية للقصيدة<sup>4</sup>.

فسيمائية القراءة هي بعد آخر من أبعاد التأويل الذي يخترق التصور الذهني للقارئ كما يخترق أيضاً مقولات النص في أدلته وعلاماته، ويساهم في استمرارية خلق النص انطلاقاً من تعدد قراءات متتالية تجعل من النص علامة دالة تحرك مخزونه من جهة وتثير نشوة التساؤل في ذات القارئ حتى يدخل في مجال الاحتمال وبذلك يغدو النص شبكة من العلامات التي تقبل عدد لا متناه من القراءات هدفها فك شفراته.

### 3- التناص وإنتاجية المعاني وتجاوز السيميائية التواصلية إلى السيميائية التحليلية عند "جوليا كريستيفا"

ليس النص عالماً مغلقاً على نفسه إنما هو امتدادات عميقة داخل سياقاته الخارجية و المحيطة به، مما يجعله كتلة مكثفة من نصوص سابقة ومعاصرة تجعله فسيفساء من تلك الحقول المتجاورة والمتداخلة والمنسجمة، وان انفتاح النص على عوالم جديدة أدت به إلى التقاطع والتفاعل والتعلق، وهذا التفاعل بين النصوص الحاصل على استحضر نصوص الآخرين ثم دمجها في نص بعينه هو ما نسميه بالتناص *itertextualité*؛ وحل الباحثين يرجعون الفضل في ظهوره إلى الباحثة "جوليا كريستيفا" التي طورت هذا المفهوم عن مفهوم (الحوارية) أو ما يسمى (بالصوت المتعدد) الذي افترضه الناقد الروسي "ميخائيل باختين"، فصاغت مصطلح التناص في كتاباتها التي نشرت بين عامي (1966-1967) في مجلتي ( تيل كيل Tel-quel ) و ( كريتيك critique ) ثم أعادت نشرها في كتابيها (السيمياء ونص الرواية).

ومفهوم التناص الذي تبلور على يد الباحثة "جوليا كريستيفا" هو " مفهوم يتصادى مع مفهوم الحوارية الباحثيني الذي يشير إلى حوارية الذوات والنصوص معا"<sup>5</sup>.

وترى "كريستينا" أن "كل نص يتشكل من تركيبية فسيفسائية من الاجتهادات، وكل نص هو امتصاص أو تحويل لنصوص أخرى"<sup>6</sup>، فالتناص عندها يعتبر أحد الميزات الأساسية التي تحيل على نصوص أخرى سابقة عنها أو معاصرة لها، أو هو عملية تحويل واقتطاع من نص لآخر.

وكذلك استثمرت التصورات التي قدمها "جاك دريدا" حول العلاقة بين الفكر والصوت وكذا نظرية العالم النفساني "جاك لاكان" حول السلسلة الكلامية، لتؤسس بذلك السيميائية التحليلية وتتجاوز السيميائية التواصلية التي تعزل النص عن النصوص التي يمكن أن تتقاطع معه.

وبالتالي فهذا التجاوز أو التغير والتحول الذي طرأ منذ أن شككت "كريستيفا" في طبيعة النسق المحايث، وهذا بفتح تصور جديد قائم على مبدأ التعدد والإنتاجية، ويظهر هذا التصور الجديد في مشروعها النقدي

"السيميائيات التحليلية La semanalyse" الذي يقوم على تعويض النظرية السيميائية الياالمسليافية في أبعادها الغائية والنسقية أو ما يطلق عليها بـ La Systématisant والتي اختارت هذه النظرية . السيميائية الياالمسليافية . لنفسها مبدأ المحايثة داخل الكلية المغلقة غير قابلة للاختزال كنسق مزدوج المستوى الذي بدأ بالتشكيك في قدرة مفهوم الإيحاء على خلق انفتاح في نسق مغلق<sup>7</sup>.

وتبني "جوليا كرستيفا" نظريتها حول التناص وفق (مفهوم الإنتاجية) أو ما أسمته بـ "الإنتاجية النصية" الذي يمثل نقلة مفاهيمية على المستوى المعرفي، فالنص ليس منتجاً للعمل إنما هو مجال ومسرح الإنتاجية، حيث يوجد المنتج والمستهلك (المرسل والمتلقي) وهو المفهوم الذي يتجاوز التصور المحدود للنص.

ومن هذا التوصيف يغدو النص وحدة أيديولوجية أو ما تطلق عليه "كريستيفا" بـ "الأيديولوجيم" الذي هو تقاطع نظام نصي معين (ممارسة سيميائية معينة) مع الملفوظات (المقاطع) التي سيق في فضائه أو يجيل إليها في فضاء النصوص (الممارسات السيميائية) الخارجية، وبذلك يكون الأيديولوجيم "وظيفة للتداخل النصي التي يمكننا قراءتها مادياً على مختلف مستويات بناء كل نص تمتد على طول مساره مانحة إياه معطياته التاريخية والاجتماعية"<sup>8</sup>.

#### الإحالات:

- 1- حسن ناظم: مفاهيم الشعرية (دراسة في الأصول والمنهج والمفاهيم)، المركز الثقافي العربي، بيروت، لبنان، ط1، 1994، ص90.
- 2 رابع بوحوش: اللسانيات وتطبيقاتها على الخطاب الشعري، دار العلوم للنشر والتوزيع، الجزائر، ط 01، 2006، ص ، ص: 17.16.
- 3 رومان جاكسون: قضايا الشعرية، تر: محمد الولي ومبارك حنون، دار توبقال، المغرب، ط 1، 1988، ص:72.
- 4 شمس واقف زادة ومحمد علي منجری: "تطبيق منهج السيميائية عند "ريفاتير" في إعادة القراءة لقصيدة "دار العبور إلى المنفى" لعدنان الصائغ"، مجلة إضاءات نقدية، ع39، 2002، ص، ص: 140.139.
- 5 حميد حميداني: التناص وإنتاجية المعاني، مجلة علامات، ج 04، م10، يونيو 2001، النادي الأدبي الثقافي، جدة، السعودية، ص:70.
- 6 جوليا كريستينا: علم النص، تر: فؤاد زاهي، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، المغرب، ط 1، 1991، ص:79.
- 7 غروسي قادة: "التحول النقدي السيميائي لدى جوليا كريستينا. قراءة إبستيمية في ثنائية "الذات والخطاب"، مجلة أبعاد، ع07، ديسمبر 2018، جامعة وهران، ص:49.
- 8 المرجع نفسه، ص:50.